

## \* — حياة المرأة في الجاهلية \* —

لقد بلغت المرأة في الجاهلية ، التي قضت حياتها في القفار والمهامه ، درجة لم تبلغها المرأة المتحدنة اليوم .

وقد تحلت بحلى الفضائل ، وتزينت بمزايا الاخلاق ، وكان لها من كل مكرمة وفضيلة اوفر نصيب ، لا بل فازت منها بالقدح المعلى والرقيب لا ، بل حازت قصب السبق وغلت مقداراً . وبلغت ما بلغت من رفعة المكانة بحيث يعجز اللسان ان يقوم بالتعبير عن تعداد قضائنها . ويكل البنان دون سطر مفاخرها ، وتنميق مزاياها . وكان لها من المنزلة والتأثير في امرتها و بين قومها ما يقضى المناهل منه العجب . كيف وقد جعلت فاتحة الشعر حتى لا تكاد تخلو من ذكرها قصيدة .

وصاروا يذكرونها في غير مقامات العصابة ، وفي حين لا دعى الى ذكرها بل في حين ليست للقلب فيه رقة غير الغلظ والشدّة والقساوة . فمن ذلك قول عنبرة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل      منى وبيض الهند ناطر من دمي

فوددت ثقبيل السيوف لانها      لمعت كـبارق ثغرك المتبسّم

ومن ذلك ايضاً ما قاله ذو الاصبع العدواني في ابن عم له كان يعاديه ، ويبغيه شراً ، فلما هاج به هائج الغيظ والغضب وعجز عن الكظم قال فيه قصيدة ، وهي مشهورة ، افتتحها بذكر امرأة له فقال :

يامن لقلب شديد الهم محزون      امسى تذكر رياً ام هرون

واتبع ذلك بابيات في مثل هذا المعنى وصف فيها الشوق والهيام ، وحرقة البعد ثم وقف فجأة فقال :

ولى ابن عم على ما كان من خلق      مختلفان فاقليه وبقليني

الى آخر القصيدة ، والشواهد على ذلك كثيرة نجتزئ بما ذكرناه . وكفى به

شاهداً على رفعة مكانتها عند قومها .

ولم تكن جاهلة بما كان لها من التأثير على افئدة قومها . بل كانت عالمة بذلك ،  
بعارفة بمقدار السلطة التي لها على النفوس ، فكان تستخدمها لا لتبلغ بها مآربها كما  
يعرف ذلك من وقف على احوالها . وقد شاركت الرجل باكثر خصاله ومزاياه  
كالجود والسخاء والوفاء وشهوات القتال والخوض في ساحات الوغى وذلك انها تعرض  
قومها على الثبات وتوَجِّع في قلوبهم نار الغيرة والحمية من الاقوال الحماسية التي تهيج  
الجبان وتصدِّره فارساً كميًا . خوفًا على نفسها الشريفة .

وقد سادته ان لم نقل ابرت عليه في قول الشعر البدع الآخذ بمجامع القلوب  
والبلاغة الرائقة وجودة المعاني واطراد النسيج ، وسلامة السبك وغير ذلك من  
الملاحمة والرشاقة وكانوا يعترفون لها بالفضائل ولا ينكرون شيئاً منها وان غلبتهم فيها  
حتى ان التابعه الديباني كان يضرب له قبة من ادم بسوق عكاظ فتأنيه الشعراء  
من كل فج عميق ، فتعرض عليه اشعارها فيفضل من يرى تفضيله ولما انشدته الخنساء  
في بعض المواسم قولها :

وان صخرًا لتأتى الهداة به      كانه علم في رأسه نار  
قال والله لولا ان ابا بصير « يعنى الاعشى » انشدنى آنفاً لقلت انك اشعر  
الجن والانس .

وقد نقل لنا التاريخ أسماء شواعر كثيرات تزينت بذكر ماثرهن المصحف .  
فمن راجع التاريخ وامهات كتب الادب يقف وقفة الدهش والاستغراب  
عندما يتأمل رفعة منزلتها التي بلغت في تلك القفار .  
وكان الاعشى اذا يقول قصيدة لم يجد بداً من عرضها على ابنته وقد كان  
ثقفا وعلمها ما بلغت به امتحقات الحكم والاختيار لجيد الكلام ثم يقول لها عدي  
لى الخزيات فتعد قوله :

اغو اروع يستسق الغمام به      لو قارع الناس عن احسابهم قرطاً

وما اشبهها من شعره .

بل ان امرء القيس نفسه لما اختلف هو وعلقمة الفحل في ايهما اشعر لم يجد من يحاكمه الا امرأته ام جندب فقالت لهما قولاً شعراً على روي واحد ، وقافية صفا فيه الخيل فقال امرؤ القيس :

خيلى مرا بى على ام جندب      لنقضي لبانات الفؤاد المذهب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في كل مذهب      ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وانشداها ، فغلبت علقمة فقال لها زوجها باي شيء غلبته قالت لانك قلت :

فلمل سوط الهوب وللساق درة      وللزجر منه وقع اهوج منعب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك وزجرك وانعبته بجهدك . وقال علقمة :

فولى على آثارهم بحاصب      وعيبة شؤ بوب من الشد ملهب

فادر كهن ثانياً من عنائه      يمر كمر الراح المثعلب

فلم يضرب فرسه ولم يمره بساق ولم يتعبه بزجر .

ومن الغريب : مارواه المرزبانى ، ان رجلاً كثير المال صاحب عبيدين في سفر

فلما توسط الطريق هما يقتله فلما صح ذلك عنده ، قال اقسم عليكما اذا كان لابد

لكما من قتلى ، ان تمضيا الى دارى وتنشدا ابنتى هذا البيت . قالوا وما هو ؟ قال :

من مبلغ بنق اب اباهما      لله دركما ودر ايكما

فقال احدهما للآخر ، مانرى به بأساً ، فلما قتلاه جاءا الى داره وقالا لابنته

الكبرى ان اباك لحقه ما يلحق الناس وآلى علينا ان نخبركما بهذا البيت ، فقالت

الكبرى ما ارى فيه شيئاً تخبراني به ، ولكن اصبرا حتى استدعى اخى الصغرى ،

فاستدعتها فانشدتها البيت فخرجت حاضرة وقالت هذان قتلا ابى يامعشر العرب

ما انتم فصحاء قالوا وما الدليل عليه ؟

قالت المصراع الثاني يحتاج الى اول، والاول يحتاج الى ثان، لا يليق احدهما  
بالآخر. قالوا وما ينبغي ان يكون ؟  
قالت ينبغي ان يكون :

من مخبر بنى انت اباهما      امى قتيلاً في الفلاة مجندلا  
لله دركما ودر ابيكما      لن يبرح العبدان حتى يقتلا  
فاستخبروهما ، فوجدوا الامر على ما ذكرت .

ويمكنني ان اتخطى هذه الشواهد كلها التي فيها كفاية الى غيرها مما يناسب  
المقام . وذلك انه قد اجتمع مرة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية  
نصيب . واخذ يتعصب كل واحد لصاحبه و يجمع له في البلاغة قصب الرهان .  
فحكموا واحدة وكانت السيدة سكيمة . فقالت لراوية جرير اليس صاحبك القائل :  
طرقك صائدة القلوب وليس ذا      حين الزيارة فارجمي بسلام  
واي ساعة اولى بالزيارة من الطروق ، قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت  
لراوية كثير ، اليس صاحبك الذي يقول :

يقر بعيني ما يقر بعينها      واحسن شي ما به العين قرت  
وليس شي اقر لعيونهن . قبح الله صاحبك وقبح شعره .  
ثم قالت لراوية جميل ، اليس صاحبك الذي يقول :

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها      وان طلابها لما فات من عقلي

فما ارى لصاحبك هوى انما طلب عقله ، قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم  
قالت لراوية نصيب ، اليس صاحبك الذي يقول :

اهم بدعد ما حيت وان امت      فياويح نفسي من يهيم بها بعدي

أما كان لصاحبك هم الاله من يهيم بها ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ألقال :

اهم بدعد ما حيت وان امت      فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

وهذا ، ولا جرم من افضل ما تعرف به حياتها الادبية في تلك القفار . فليت  
نساءنا اليوم يعرفن عشر معشار ما عرفته وعلمته الفتاة الناشئة في المهامه  
والفلوات ، من الآداب والفضائل . وسنأتى ان شاء الله تعالى على وصف حياتها  
المادية ور بما نشير هناك الى ما يدل ايضاً على انها لا ادب لها مكتسب الا آدابها  
النفسانية . ولا حاجة بشكرار الدليل مرتين او اكثر هنا وهناك .

محمد بهجت الاثري

بغداد :

### — خواطير الشهر —

ولها سيئات

الاختراعات التي يفتخر بها الغربيون لها حسنات ولها سيئات ، تفيد من وجه  
وتؤذي من وجه آخر ، وكثيراً ما يكون الضرر اعظم من النفع بما لا يقاس .  
هذه الاتوموبيلات التي يعدها الغربيون من الاختراعات المهمة — كثيراً ما  
جلبت الويل على البشرية .

مثال ذلك ان عدد حوادثها في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٠ فقط كان مليون و٥١٤  
الف حادثة اتوموبيل ، منها ١٢ الف حادثة قاتلة — اي على معدل ٣ حوادث  
في كل دقيقة ، و ٣٣ حادثة قتل في اليوم .

هذه في الولايات المتحدة فقط ، اما في بقية العالم فالله اعلم بعدد ضحايا هذا  
الاختراع المهم .

ومن رأينا انه لا يجب ان يفتخر احد باختراع — الا اذا كان يفيد ولا يؤذي  
— وما اقل الاختراعات التي تخضع لهذا الشرط .

نقولا حداد والصحافة

نقولا حداد كاتب متفنن قدير ، مهدت له مؤلفاته العديدة ، ومقالاته المتنوعة ،

شهرة كبيرة في عالم الكتابة جدير هو بها ، وجديرة هي به .